مغامرات

لاثاريليو دي تورمس



الكاتب مجهول

اقتباس: ماريا ايزابيل مولينا

ترجمة : مروان ابراهيم



دار ثقافة الاطفال

نصوص عالمية

[٧]



مغامرات
لاثاريلييو دي تورمس

الكاتب مجهول

اقتباس : ماريا ايزابيل مولينا

لاثاريليودي تورمس
ترجمة: مروان ابراهيم
الطبعة الاولى: ١٩٨٧

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام / دار ثقافة الاطفال / ص. ب
٨٠٤١ بغداد – العراق.

سلسلة نصوص عالمية
تصدر عن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف.



الكاتب مجهول

اقتباس: ماريا إيزابيل مولينا

ترجمة: مروان ابراهيم

مقدمه

طبعت قصة لاثاريلييو دي تورمس اول مرة في القلعة دي اينارس[1] ، ولا احد يعرف تماما من هو كاتبها ولا السنة التي تم طبع الكتاب فيها. انتشرت هذه القصة اول مرة في عهد (كارلوس الاول)[2] وكانت سنوات حكمه، سنوات مجد وانتصار، وفي هذا العالم المليء بالجنود والاكتشافات اصبحت قصة «لاثار يلييو» شكلاً جديداً من انواع الحكاية.

فشخصية القصة الرئيسية ليس بطلاً مقداماً ولا يمتلك شعوراً اخلاقياً رفيعاً، وهذه الشخصية والشخصيات في القصص الروائية التي تلت هذه القصة كانوا شخصيات عادية من عامة الناس او كانوا صبياناً فقراء يحكون قصص مغامراتهم وكفاحهم من اجل لقمة العيش، مستخدمين كل حيلهم ودهائهم في سبيل تحقيق ذلك.

ولهذا فاننا نسمي هذا النوع من القصص بـ (قصص الصعلكة) يكون البطل فيها صعلوكاً او مكاراً او غشاشاً.

وبعد خمسين عاما من طبع هذه القصة ظهرت القصة الصعلوكية الثانية، وكانت بعنوان «كوشمان دي الفراشة» للكاتب (ماتيو اليمان) الذي مهد الطريق لقصص اخرى مثل «رينكو نيته و كورتاديلييو» لسرفانتس و «النشال» لكيفيدو و «الشيطان الاعرج» لفيليث دي غيفارا.

وفي غضون الخمسين عاما هذه تغيرت اشياء كثيرة في اسبانيا، وخاصة الحياة الاجتماعية، فيها، فأسبانيا التي كانت

---

١ ـ قلعة دي انيارس

٢ ـ كارلوس الاول : ملك اسبانيا وملك المانيا اصبح ملك اسبانيا فـي سنة ١٥١٧ ثم امبراطور المانيا في ١٥١٩

تشعر بالفخر والاعتزاز بقوتها في عهد الامبراطور كارلوس الاول، وجدت نفسها في عهد فليب الثالث[٣] مثقلة بمسؤولياتها وهذا الفرق نستطيع ان نجده في الرواية.

فبطل الرواية (لاثاريليو) هو شخصية مرحة، بسيطة ليس فيه من الشرور كتلك التي عهدناها في ابطال الروايات الصعلوكية الاخرى.

تعتمد رواية الصعاليك عموماً على السرد اليومي وهذا يعني ان يقوم بطل القصة برواية قصة حياته، وكل ماجرى فيها والطابع الاساسي الذي يغلب على هذه القصة هو سرد حكاية الجوع، ذلك الجوع الذي ساد في وقت من الأوقات في اسبانيا، بسبب الحروب التي خاضتها في اوربا والاكتشافات في امريكا الجنوبية، ولهذا لم يعد احد يزرع الارض ولم يكن هناك من يذهب الى المصانع.

و (لاثاريليو) الصبي الذي ولد في نهر تورمس كان يشعر بالجوع، وفي طيات صفحات هذه القصة القصيرة كان (لاثاريليو) يعاني من الجوع بسبب بخل الاعمى والقس او بسبب افلاس السائس، وكانت الحاجة تجبره على الصعلكة والاحتيال من اجل توفير لقمة عيشه من اولئك الذين كان يشتغل عندهم. وهكذا نجد ان الجزء الاكبر من مغامراته كان بسبب حاجته الى الطعام.

لقد كتبت قصة (لاثاريليو) بطريقة مبسطة من دون الدخول الى شرح مطول ووصف لامبرر له، وعندما حضرت

---

٣ ـ فيليب الثالث . ملك اسبانيا (١٥٨٨ ـ ١٦٢١) حكم اسبانيا في سنة ١٥٩٨ .

هذه القصة فأنا لم أفعل شيئاً سوى اعادة كتابتها بلغتنا الحالية بدلاً من اللغة المستعملة في القرن السادس عشر. وقد ابقيت الحوارات والاماكن على حالها.

أرجو ان يلاقي هذا الكتاب اعجاب كل الاولاد كما اعجب كل الاولاد الذين قرأوه منذ ان كتب قبل اربعمائة عام.

ماريا ايزابيل مولينا

لاثارو
يروي قصة حياته



لتعلموا ياأصدقائي انهم يطلقون علي اسم لاثارو دي تورمس، ابن غونزالس وانطونا بيرث وهما من قرية تيخارس التابعة لمدينة (سلمنقة). لقد اسموني لاثارو لانني ولدت في نهر تورمس، اذ كان ابي يعمل طحاناً في طاحونة تقع على النهر.

لما بلغت الثامنة من عمري اتهم ابي بسرقة الحنطة من اكياس الزبائن فقبض عليه واودع السجن، ثم نفاه القاضي من مدينة (سلمنقة) ومن كل ضواحيها. وفي ذلك الوقت ثار المغاربة في (جربة)[1] والتحق ابي بخدمة احد الفرسان، وذهب الى الحرب هو وسيده الا انهما قتلا هناك.

---

١ ـ جربة . جزيرة جربة وتقع على الساحل التونسي

وعندما وجدت امي الارملة نفسها وحيدة من دون من يحميها قررت ان تعمل خادمة في احد الفنادق الصغيرة وتخدم في الوقت نفسه اولئك الذين ينزلون في الفندق. وهناك ترعرت واصبحت قادراً على الذهاب لشراء الشموع وكل الاشياء الاخرى التي كان الزبائن يطلبون مني احضارها.

في ذلك الوقت نزل رجل اعمى في الفندق وجد انه لو علمني لأصبحت خير دليل ... وطلب من امي ان تدعني اذهب معه.

فقالت امي:

– حسنا خذه معك ولكن عليك ان تعرف انه ابن رجل مات في سبيل الدين في (جربة) وأنا واثقة ان الولد على سر ابيه لهذا ارجو ان تحسن معاملته وتعتني به لانه يتيم.

فأجابها الاعمى: –

– هذا ما سأفعله، سأعتني به كما لو كان ابني وليس خادماً لي.

وبعد ان بقينا عدة ايام في (سلمنقه) نشحذ فيها رأى الاعمى ان مايكسبه من الشحاذة هناك لم يكن كافياً فقرر ان يترك (سلمنقه) ويذهب الى مكان آخر. وهكذا ودعت امي وبكى كلانا ومنحتني بركتها قائلة: –

– بني، انا اعلم اني ربما لن اراك بعد هذا اليوم فأعمل على ان تكون صالحا والله يهديك لقد ربيتك واودعتك عند رجل صالح والآن عليك ان ترعى نفسك.

انفصلت عنها وذهبت الى سيدي الذي كان ينتظرني، وغادرنا (سلمنقه) في الليلة نفسها وعندما كنا نعبر الجسر اقترب الاعمى من تمثال حيوان له شكل الثور تقريبا كان موجودا عند

مدخل الجسر وقال لي :-
- لاثارو، اقترب من هذا الثور وألصق اذنك به فستسمع صوتاً عظيماً بداخله.

اقتربت من التمثال وانا اعتقد ان مايقوله صحيح، فلما شعر الاعمى باني الصقت رأسي بالتمثال مد ذراعه وضربني ضربة شديدة على راسي حتى ان الم الضربة بقي اكثر من ثلاثة ايام وقال لي وهو يضحك : تعلم يامغفل واعلم ان دليل الاعمى يجب ان يكون اذكى من الشيطان.

وبدا لي في تلك اللحظة اني استيقظت من حلم الطفولة واصبحت رجلا وقلت في نفسي «انه على حق علي ان افتح عيني مادمت وحيدا».

واستمرينا في طريقنا، وفي أيام قليلة علمني أشياء كثيرة ولما راني ذكيا فرح وقال :
- انا لااستطيع ان امنحك ذهبا ولافضة ولكني استطيع ان اعطيك كثيرا من النصائح لكي تستطيع ان تعيش.

وهكذا فعل، ولانه كان أعمى ذكيا وماكرا فقد كان يحفظ كثيرا من المواعظ ويلقيها بلهجة خاشعة ورصينة. وكانوا يعطونه الحسنات لكي يلقي هذه المواعظ، وكلما كان يزيد من تواضعه وخشوعه كان يكسب اكثر.

كان يعرف الآف الطرق الاخرى لكسب المال، فقد كان يدعي انه يعرف طرق تحضير كل أنواع الاعشاب الطبية، ويستطيع ان يكتب وصفات تشفي أمراض الحنجرة ووجع الاضراس، والاصابة بالاغماء ووجع الرأس.

وبهذه الوسيلة كان الناس يعدون خلفه، وخاصة النساء فقد

كن يعتقدن بكل ما كان يقوله، وكان بهذا يكسب من النقود في الشهر اكثر مما يكسبه مائة اعمى في السنة.

ولكن ينبغي ان تعلموا ياأصدقائي انه على الرغم مما كان يكسبه هذا الاعمى فقد كان بخيلا وشحيحا. الى حد انه كان يجعلني أحصل على نصف ماهو ضروري لي من الطعام لكي لايصرف النقود. واقول الحقيقة انه لولا براعتي وحيلي لكنت مت جوعا اذ انني كنت انصب له فخاخا شيطانية لم يستطع ان يكتشفها مها أوتي من ذكاء وحيلة فكنت كلما حان موعد تناول الغذاء اخرج منه بنصيب الاسد من دون علمه.

كان الاعمى يحمل الخبز وكل الاشياء الاخرى في كيس من القماش، ويغلق فتحته بحلقه حديدية ذات مفتاح، وعندما كان يحين موعد تناول الطعام يدخل يده في الكيس ويخرج بكل حذر ويقظة الطعام، وما كان بأستطاعة اي رجل في العالم ان يأخذ من هذا الكيس فتة خبز صغيرة اكثر مما كان يستخرجه الاعمى. وكان يعطيني حصتي القليلة فألتهمها في لقمتين وبعد ذلك يغلق الاعمى الكيس، ويغفل قليلا ظانا انني مشغول بشئ اخر لكنني كنت افتح الكيس من أحد جوانبه واعيد خياطته بعد ذلك. وهكذا كنت استخرج من ذلك الثقب مالذ وطاب من الخبز وشرائح اللحم والمقانق من دون حساب واسد جوعي الذي كابدني اياه الاعمى.

ومن جهة اخرى كنت احول كل ما استطيع افتراسه وقرضه من تلك المهات التي كان الاعمى يكلفني بها الى أنصاف ريالات، وعندما كان الناس يطلبون من الاعمى ان ينشد لهم شيئا ويلقون له ببعض الريالات كنت التقطها بسرعة وهي في

الهواء وبدلا منها أضع نصف ريال. وكان الاعمى يشتكي ماان ينصرف المحسن لانه كان يدرك في التو ان ماكان يحصل عليه لم يكن ريالا كاملا وكان يقول لي:

-أي شيطان هذا، منذ أن صحبتني والناس لايعطونني سوى أنصاف الريالات؟ وقبل هذا كانوا يعطونني نصف مرابطي وأحيانا كانوا يعطونني مرابطيا كاملا لابد انك أنت السبب في هذا النحس.

وهكذا اخذ يختصر من مواعظه الى أقل من نصفها وكان يسكت حين ينصرف الشخص الذي طلب منه أن يلقي الموعظة.

وكان يستأنف النداء قائلا:

-حسنة للاعمى الذي يصلي من أجلكم!

وحين كنا نأكل كان من عادته أن يضع بالقرب منه جرة صغيرة مليئة بالعصير، في اول الامر كنت اخذ بمهارة وخفة جرعات كبيرة ثم اعيدها الى مكانها. لكن هذه الحال لم تستمر طويلا، لانه اخذ يلاحظ ماكان يبقى في الجرة ومن ثم ماعاد يترك الجرة، بل اخذ يمسكها بقوة في يده حفاظا على العصير. وكان علي ان ابحث عن عود شعير طويل يفيدني في امتصاص العصير، لكن الاعمى الخبيث كان من الدهاء انه شعر بي، واخذ يضع الجرة بين ركبتيه ويسد فمها بيده متى ماشرب بأمان.

ولما كنت متعودا على شرب العصير وجدتني وقد ثارت ثائرتي وانا في اشد الشوق لشربه، وخطر ببالي ان اصنع في نهاية الجرة ثقبا صغيرا استطيع ان اغلقه بسهولة بالشمع. وعندما كانت تحين ساعة تناول الطعام كنت انزلق بين ساقي الاعمى متظاهرا بأني

اشعر بالبرد، ثم اقرب راسي من الجرة وكان الشمع ينصهر من الدفأ فتبدأ نافورة العصير بالسقوط في فمي، وكنت حريصا على ان لااجعل اية قطرة تضيع سدى.

وكان سيدي المسكين يدهش ولايفهم شيئا عندما يجد ان الجرة خالية. ثم يلعن ويرمي الشيطان بالجرة عندما لم يكن بامكانه فهم جلية الامر. وكنت اقول له:

-لاتقل باني شربتها لقد امسكت انت بالجرة ولم تتركها لحظة واحدة.

لكن الاعمى ادار الجرة مرات عديدة وجسها الى ان اكتشف الثقب الصغير وانتبه لحيلتي. ومع هذا لم يقل شيئا وتظاهر بانه لايعرف اي شي. لكنه كان قد صمم على الانتقام مني. فما ان حل اليوم التالي واتخذت موضعي المعتاد حتى رفع الجرة الى الاعلى وبدا كانه يشرب ثم اهوى بها على راسي بكل قوته، ولم أكن اتوقع هذا فاعتقدت ان السماء باكملها قد سقطت على رأسي.

كانت الضربة قوية الى حد ان قطع الجرة دخلت في فمي وكسرت اسناني التي فقدتها منذ ذلك الحين، ومزقت وجهي. ومنذ تلك الساعة اضمرت الشر للاعمى، وعلى الرغم من انه لاطفني وعالجني بالاعشاب، فقد رايت انه كان مغتبطا بعقابه القاسي لي.

وغسل جروح وجهي بالنبيذ وقال لي وهو يضحك:

-ماذا يبدو لك يالاثرو؟ ان ماأمرضك قد اشفاك وعافاك.

ولما شفيت من جروحي ورضوضي فكرت ان ضربة اخرى مماثلة من ضربات الاعمى ستقتلني ولهذا فقد قررت ان اتركه

ولكني انتظرت قليلا. فما كنت اقدر ان أنسىَ مهما حاولت مسألة الجرة فقد كانت ذكراها تعود، لانه اخذ يضربني ويركلني من دون سبب وكان يضربني بعصاه الطويلة امام الناس.

واذا ما أشفق علي احد وتوسل اليه ان يتركني كان يقص عليهم قصة الجرة ويقول:

- لعلكم تظنون أن هذا الصبي بريئ انه يعرف من الحيل اكثر مما يعرف الشيطان.

وكان من يسمعه يقول:

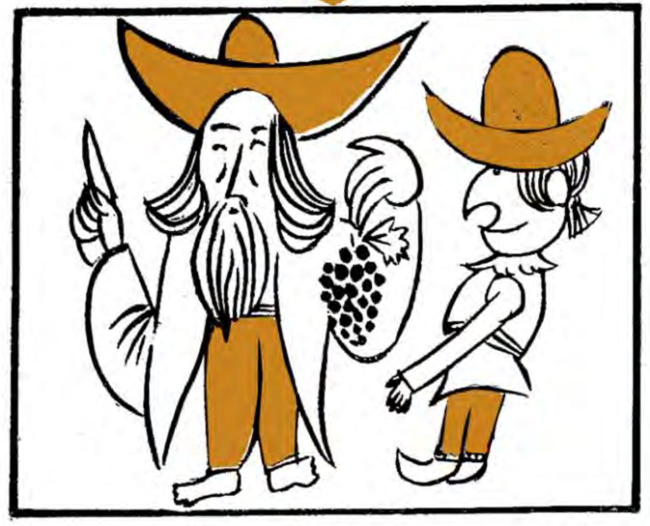
-انظروا.. من يصدق أن في هذا الصبي الصغير كل هذا الخبث!

وكانوا يضحكون مني ويقولون للاعمى «عاقبه فهكذا سيتعلم وسيجازيك الله خيرا على ماتفعله».

وكنت استاء وازعل واقرر ان اقوده عبر اسوأ الطرق. فاذا كانت الطرق مليئة بالاحجار جعلته يمشي عليها، وان كان هناك طين اقتدته خلال الطين وفي وسطه، وعلى الرغم من انني لم اكن امشي في المكان الجاف، فقد كنت افعل هذا لاغاضته.

لكن الاعمى الشرير كان يضربني بطرف عصاه حتى امتلأ رأسي بالنتوءات بفعل ضرباته.

كيف ترك لاثارو الاعمى



حينما غادرنا (سلمنقه) اتجهنا نحو (طليطلة) وكان سيدي الاعمى يقول عنها انها ارض غنية وفيها اثرياء سيعطونني صدقات كثيرة .

ومشينا حتى وصلنا مكانا يدعى (الموروكس [1]) وكان اوان حصاد العنب قد حل فاعطى احد الحاصدين للاعمى عنقودا من العنب عده حسنة له ، ولكن لما كان العنب في ذلك الوقت ناضجا جدا فقد اخذت حبات العنب بالانفراط بين يديه ، ولو انه وضع العنقود في الكيس لأتلف كل شيْ . وهكذا فكر

---

(١) الموروكس منطقة تقع بالقرب من مدينة طليطلة.

الاعمى بأكل العنب وفكر ايضا بأرضائي لانه كان قد ضربني في ذلك اليوم ضربا مبرحا .وقال :

- اليوم سأكون كريما معك . سنأكل هذا العنقود من العنب وستأكل انت بقدر ماآكل انا ، وسنقتسم العنقود على النحو التالي : تأكل انت حبة وآكل انا حبة ، على شرط ان تعدني ان لاتأكل اكثر مما آكل انا ، وسألتزم انا من جانبي بهذا الاتفاق ولن يكون هناك خداع .

وهكذا بدأنا نأكل ولكن بعد لحظة غير الخائن رأيه وبدأ يأخذ حبتي عنب في المرة الواحدة ، ولما رأيته قد نقض الاتفاق اخذت آكل ثلاث أو اربع حبات في المرة الواحدة . وعندما انتهينا من اكل عنقود العنب امسك الاعمى العنقود بيده وقال :

- لقد غششتني يا لاثارو . احلف بالله انك اكلت حبات العنب ثلاثا ثلاثا .

- لم افعل ذلك ، ولكن لماذا تظن هذا الظن ؟

اجابني الاعمى الماكر :

- هل تعرف كيف عرفت انك اكلت العنب ثلاثا ثلاثا ؟ لانني عندما بدأت بأكل العنب اثنين اثنين سكت انت ولم تجب .

ولم اقل شيئا وكتمت الضحك في نفسي ، ورغم اني كنت طفلا فقد شهدت بذكاء الاعمى .

مشينا حتى وصلنا الى مدينة (اسكالونا) ونزلنا في فندق واعطونا مكانا بالقرب من الموقد ، واعطاني سيدي قطعة من المقانق لأشويها له في حين راح هو يغمس الخبز في دهن المقانق .

وعندما اصبحت قطعة المقانق جاهزة امرني سيدي ان اشتري له خمرا من الحانة وترك المقلاة واخذ يبحث عن قطعة النقود في جيبه .

نظرت فرأيت اننا كنا وحدنا ، وكانت رائحة المقانق الشهية قد ايقظت شهيتي وكنت اعرف مسبقا اني لن اذوق هذه الوجبة ابدا . وهكذا فقد التقطت من على الارض (لفتة) صغيرة مستطيلة وذابلة كانت بالقرب من الموقد كانوا قد تركوها هناك لصغرها ، ووضعتها بدل المقانق .

اعطاني سيدي قطعة (مرابطي) واستمر يقلي ويقلب (اللفتة) محاولا ان يشوي الجهات التي لم تشوى .

ذهبت لاحضار النبيذ واكلت المقانق في الطريق وعندما رجعت رأيت ان الاعمى كان قد وضع (اللفتة) في الخبز واخذ يقضم (اللفتة) وهو يظن انها مقانق . وسرعان ماتغير وجهه وقال لي : —

— ماهذا يالاثارو ؟

فقلت له :

— يالمصيبتي ، هل ستتهمني بشيء ؟ الم احضر لك النبيذ ؟ لابد ان واحدا ممن مروا هنا قد فعل هذا .

— كلا ، كلا ! انا لم اترك المقلاة من يدي . هذا غير ممكن .

اقسمت له بأغلظ الايمان بأني لم ابدل المقانق ، لكن الاعمى لم يقتنع ونهض وامسك رأسي واقترب مني ليشمني ولما كان قد شم الرائحة وللتأكد من ذلك فقد فتح فمي ودس انفه الطويل الى داخل فمي حتى وصل الى حلقي ، واذا بالخوف الشديد الذي دب فيّ وبالسرعة التي ابتلعت بها المقانق التي لم

تستقر بعد في معدتي جعل معدتي تضطرب وقذفت ما كنت قد سرقته قبل ان يسحب الاعمى انفه الطويل من فمي . وهكذا اخرجت من جوفي المقنق الذي لم يهضم بعد ودفعت بانف الاعمى الى الخارج .

ياالهي ! كم تمنيت لو انني كنت مدفونا تحت التراب لما اعتراني من خوف بعد ذلك ! فقد استشاط الاعمى غضبا ودبت فيه قوة عظيمة وامسكني واوسعني ضربا ولو لم يهرع الناس على صوت الضجة لنجدتي لما تركني الاعمى على قيد الحياة .

انقذوني من بين يديه اللتين امتلأتا بالخدوش لأنني دافعت عن نفسي . وهرع الناس من كل مكان وراح الاعمى الشرير يقص عليهم مصائبي ويكرر حكاية الجرة وحكاية العنب والحكاية الاخيرة .

وبلغ الضحك اشده مما حدا بكل الذين كانوا يمرون بالقرب من الباب ان يدخلوا للتفرج وسماع ذلك الاحتفال . وكان الاعمى يقص اعمالي بطريقة مضحكة جعلاني اشعر رغم سوء حالي ودموعي باني كنت اؤذيه بعدم ضحكي مثل الآخرين .

وبينما كان يقص كل هذا انتبهت الى انني كنت جبانا عندما لم اقطع له انفه الذي دسه في فمي واني اضعت تلك الفرصة .

اصبح الاعمى صديق صاحبة الفندق وجلبوا له النبيذ ليشربه وغسلوا لي جروحي وحنجرتي به ، وكان الاعمى يضحك ويقول لي : –

– الحقيقة ان هذا الغلام يكلفني من النبيذ لغسله في نهاية العام اكثر مما اشربه انا . يالاثارو عليك ان تسمي النبيذ اباك لانه

انقذك اكثر من مرة .

وهكذا قص مرة اخرى كم مرة كسر وجهي ثم شفاني بالنبيذ . اما الذين كانوا يغسلونني فقد كانوا يضحكون وسط انكاري الشديد لكل ماحدث .

وعندما حصل كل هذا قررت ان اتركه نهائيا ، وكنت قد عزمت على ذلك من قبل .

وفي اليوم التالي كانت السماء تمطر عندما خرجنا الى المدينة للاستجداء واضطررنا ان نحتمي تحت بعض الاروقة لكي لانتبلل ونحن نطلب الصدقات . لكن المطر لم يتوقف حتى عندما حل الظلام ، واخيرا قال لي الاعمى :

- يالاثارو ، هذا الماء مستمر ، وكلما حل الظلام اكثر زاد هطول المطر . لنذهب الى الفندق في وقت مبكر .

وبدأنا بالمسير ولكن لكي نصل الى الفندق كان علينا ان نعبر نهرا صغيرا زاد المطر من مياهه فقلت له :

- ان النهر عميق من هنا ، ولكن اذا رغبت فسأرى اضيق مكان نستطيع العبور منه .

وراقت له الفكرة وقال لي : -

- انت ذكي ولهذا انا احبك. خذني الى هذا المكان الذي يضيق فيه النهر. في هذا الوقت لايكون الماء مقبولا خصوصا اذا ابتلت اقدامنا.

ولما رايته منقادا لرغبتي اخرجته من تحت الرواق وجعلته يقف قبالة عمود ضخم من تلك الاعمدة التي كانت موجودة في الساحة وقلت له اننا امام اضيق مكان في النهر.

ولما كان المطر غزيرا، وكنا على عجلةٍ من امرنا هربا من المطر الذي كان يتساقط علينا، فقد الاعمى كل ذكائه وقال: اجعلني اقف على نحو جيد واقفز انت النهر.

اوقفته جيدا امام العمود الضخم وقفزت انا وصرخت:

– اقفز بكل ما اوتيت من قوة حتى تستطيع ان تعبر الى هذه الجهة من النهر.

وما ان انهيت كلامي حتى تراجع الاعمى الى الخلف استعدادا لمزيد من الانطلاق وقفز بكل قوته الى الامام مصطدما بالعمود وانطرح على الارض نصف ميت والدم يخرج من رأسه المشجوج. وقلت له:

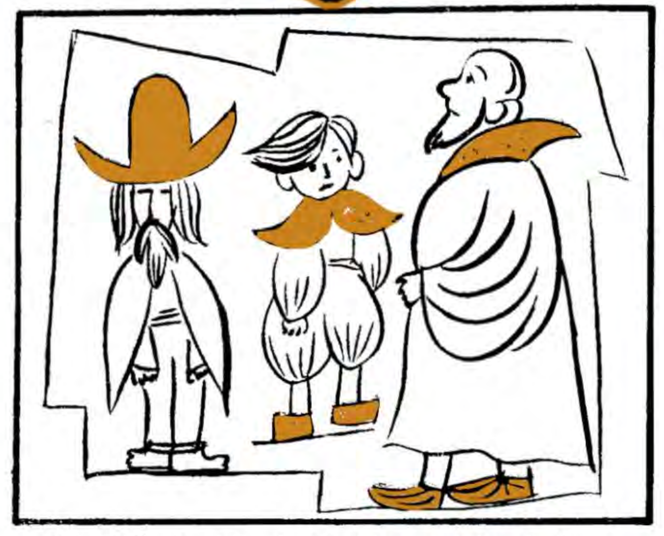
– كيف شممت (المقنق) ولم تشم العمود؟ شمه اذن.

وتركته بين ايدي كثير من الناس الذين هرعوا لينقذوه وهربت نحو باب المدينة وقبل حلول الليل كنت في توريخوس [1].

---

١ – توريخوس: قرية في محافظة طليطلة.

لاثارو يدخل في خدمة القس



وفي اليوم التالي وجدت ان (توريخوس) ليست مكانا امنا لي ولهذا فقد ذهبت الى مكان يدعى (ماكيدا) وفيه التقيت بقس سألني ان كنت اعرف خدمة القداس؟ قلت له نعم، وكان ذلك صحيحا، وبعد عدة اسئلة من جانب القس قبل ان ادخل في خدمته.

لقد استطعت ان اهرب من الرعد لاسقط في البرق. لان الاعمى كان رجلا كريما جدا مقارنة بهذا القس. الذي كان كل بخل العالم موجودا فيه.

كان يملك صندوقا عتيقا ومغلقا بمفتاح يحمله مربوطا في حبل معلق بثيابه وكان حين يأتيه الخبز يضعه في هذا الصندوق ويقفل

عليه. ولم يكن في بيته مايؤكل كما يوجد عادة في سائر البيوت: مثل قطعة لحم مقددة او قطعة جبن او سلة فيها بعض الخبز من بقايا المائدة وكانت مجرد رؤية هذه الاشياء يمكن ان تسليني

الشيء الوحيد الموجود هو سلسلة من البصل اغلق عليها في غرفته الموجودة في الطابق الاعلى من البيت. وكان يعطيني بصلة واحدة لكل اربعة ايام وعندما كنت اطلب منه المفتاح لكي اجلب البصل بحضور احد الناس كان يعطيني المفتاح ويقول لي:

– خذ المفتاح وارجعه بسرعة ولاتكن شرها.

كان يقول هذا كما لو انه احتفظ بتلك الغرفة بكل ماهو طيب في (بلنسيه) في حين لم يكن فيها غير بصل معلق على مسمار، كان يحسبه بدقة حتى انني لو اخذت اكثر من حصتي لدفعت ثمن ذلك غالياً وهكذا بدأت اتضور جوعا وبينما كنت لااكل شيئا يذكر كان هو يتناول اللحم للغذاء والعشاء ويعطيني انا الحساء والخبز فقط.

وكان من عادة تلك القرية ان تأكل في ايام السبت رؤوس الغنم فكان يرسلني لشراء رأس الغنم ويأكله ويترك لي العظام فقط ويقول لي:

– خذ كل واستمتع فالعالم امامك ولك.

وبعد انقضاء ثلاثة اسابيع اصبحت ضعيفا لاتقوى رجلاي على حملي من شدة الجوع. ورايت نفسي متوجها الى القبر لكنني لم اكن اجد منفذا كي امرر حيلي فقد كان سيدي الاول وعلى الرغم من ذكائه اعمى، اما هذا فقد كان شديد البصر وعندما كان يحين وقت التصدق في الكنيسة كان يسجل كل قطعة

تسقط في الصندوق وكان ينظر بعين الى الناس وبعين اخرى الى يدي.

فكرت اكثر من مرة بالهرب، لكنني لم افعل هذا لسببين الاول بسبب الوهن الذي اصاب رجلي، والثاني لانني ترددت وقلت في نفسي لقد كان لدي سيدان الاول جعلني اشعر بالجوع والثاني سيقتلني جوعا. فاذا ماتركته والتقيت بسيد اخر فما الذي سيبقى لي سوى الموت؟

وبينما انا في هذه المحنة اشاهد نفسي تمضي من سيءْ الى اسوأ وكان سيدي البخيل خارج المدينة حضر الى بيتنا سمكري يسألني ان كنت بي حاجة الى تصليح شيءْ ما.

لقد هبط علي ذلك الرجل مثل هبوط الملائكة. وقلت له:

- نعم لدي. لقد اضعت مفتاح هذا الصندوق واخاف ان يجلدني سيدي لو عرف . عسى ان تجد مفتاحا يفتحه وسأدفع لك ثمنه.

وبدأ السمكري في تجْربة المفاتيح التي كان يحملها معه وبعد لحظة فتح الصندوق وفرحتُ كثيرا وقلت للسمكري .

- لا احمل نقودا ادفعها لك ثمن المفتاحَ ونستطيع ان تأخذ من الصندوق ارغفة بقدر ثمن المفتاح.

فأخذ من الارغفة الرغيف الذي اعجبه واعطاني المفتاح.

لم امس شيئا في ذلك اليوم، اذ لم ارد ان ينتبه سيدي للامر، ولكنني فتحت الصندوق في اليوم التالي واخذت قطعة من الخبز وابتلعتها في لحظة واحدة.

وبدأت امسح واكنس البيت بسعادة وانا افكر انني وجدت دواء اصاباتي.

وفي اليوم الثالث من ذهاب العسكري رايت من قتلني جوعا ينحني على الصندوق ويعد ويقلب ويعد ارغفة الخبز. واخيرا وبعد ان ظل يحسب طويلا قال لي .
– لو لم يكن هذا الصندوق مغلقا لقلت انهم اخذوا ارغفتي.
وهكذا وحتى لا اقع في باب الاتهام والظنون فقد حسبت الخبز وبقي هناك تسعة ارغفة وقطعة صغيرة.
غادر البيت وفتحت انا الصندوق وبقيت انظر الى الخبز بمعدة خاوية من دون ان اجرؤ على لمسه. عددت الخبز عسى ان يكون قد اخطا في الحساب ووجدت حسابه دقيقا.
واخيرا قطعت قطعة صغيرة من الخبز من المكان نفسه الذي كانت قد قطعت قبل ذلك منه وحاولت ان امضي بقية اليوم بهذه القطعة.
لكن الجوع جعلني اكثر جرأة وخطرت ببالي فكرة جعلتني اقول في نفسي: « ان هذا الصندوق عتيقا جدا ومكسورا من عدة نواح، وان لم يكن به غير ثقوب ضيقة وفي هذه الحالة فأن اي واحد يمكن ان يشك من ان الفئران قد دخلت واكلت الخبز» وهكذا اخذت افتت الخبز واكل نتفة من كل رغيف. وعندما وصل سيدي لتناول الطعام وفتح الصندوق وشاهد الضرر الذي اصاب الخبز اعتقد من غير شك ان الفئران كانت هي السبب لانني كنت قد حاكيت ماتفعله الفئران بكل دقة.
تفحص الصندوق واكتشف الثقوب التي ظن انها دخلت منها الفئران وناداني :–
–لاثرو! انظر اي اضطهاد عاناه خبزنا هذه الليلة.
وتصنعت الدهشة.

وسألته :

-ماذا عسى ان يكون هذا؟

-ماهذا، إنها فئران تلتهم كل شيء.

وبدأنا نأكل واستفدت هذه المرة اكثر إذ انه قطع بالسكين كل الأجزاء التي اعتقد ان الفئران قرضتها وأعطاني إياها قائلاً ، كل هذا فالفأر حيوان نظيف.

لما اعتقدت اني داويت كل شقائي، اصابتني رعشة عندما وجدت ان سيدي يبحث عن بعض الالواح والمسامير وراح يدق الصندوق ولم يتركه إلا حين أغلق كل الثقوب الموجودة فيه.

امضيت ليلي ساهراً وأنا افكر في الصندوق وفي أرغفة الخبز. واخيراً رأيت ان خشب الصندوق كان عتيقاً فنهضت بصمت مستغلاً نوم سيدي وبدأت بعمل ثقب صغير في الصندوق يتسع لمرور فأر صغير منه وهكذا فتحت الصندوق بمفتاحي وأخذت حصتي من الخبز وعدت الى السرير.

وجن جنون سيدي عندما رأى في صباح اليوم التالي الثقب الموجود في الصندوق والأضرار الموجودة على الخبز واخذ يصرخ :

- ما عسانا نقول بهذا؟ فأنا لم اشاهد فئراناً في هذا البيت. وكان سيدي على حق لأن الفئران لم تتعود ابداً سكن البيوت الخالية من الطعام.

وبحث عن الواح اخرى وسد الثقب، ولكن ما ان حل الليل وشعرت انه نام حتى نهضت وأنا احمل سكيني وفتحت ثقباً اخر

وهكذا بقينا مدة غير قليلة انا افتح الصندوق وهو يغلقه الى ان بدا الصندوق بعد عدةِ ايام يشبه الدروع القديمة من كثرت

ماكان فيه من مسامير وألواح.

وعندما رأى سيدي ان علاجه لم ينفع قال لي :

-مادام الصندوق عتيقاً جداً فأرى أن أحميه بطريقة اخرى.

ذهب سيدي وأقترض مصيدة فئران وقطعة جبن من الجيران ونصب الفخاخ في داخل الصندوق.

وكان ما فعله سيدي قد افادني كثيراً لانني ولشدة جوعي اخذت اكل قطع الجبن التي كان يستعيرها.

وكان سيدي يستشيط غضباً في الصباح عندما يكتشف ان قطع الجبن اختفت وان الخبز قد قرض وكان يسأل الجيران كيف يستطيع الفأر ان يأكل الجبن ولا يقع في المصيدة؟

فكان من رأي الجيران ان من احدث الضرر لايمكن ان يكون فأراً، لانه كان لابد ان يقع في المصيدة في واحدة من هذه المرات. واخيراً قال احد الجيران :

-اتذكر جيداً ان ثعباناً كان يتردد على بيتك سابقاً، واعتقد انه رجع الى البيت ولهذا فهو لايقع في المصيدة لانه طويل جداً وبأمكانه سحب الطعم والمصيدة.

وعندما سمع سيدي بهذا الامر أضطرب وماعاد ينام بهدوء منذ ذلك اليوم. وكانت اقل الاصوات التي تحدثها الحشرات في الصندوق كفيلة بأن تقض مضجعه وتجعله يهب مذعوراً من الثعبان الذي افسد له صندوقه ويمسك بالعصا التي وضعها تحت مخدته ويضرب بها الصندوق حتى يخيف الثعبان.

كان سيدي يوقظ بأفعاله هذه كل الجيران ويوقظني انا لأنه كان يأتي الى حيث الحصيرة التي انام عليها فيقلبها ويقلبني اعتقاداً

منه ان الثعبان قد جاء بالقرب مني واندس في ثيابي ذلك لان الجيران كانوا قد قالوا له بأن هذه الحيوانات عادة ماتنام في مهاد الأطفال في الليل بحثاً عن الدفء.

وكنت اتصنع النوم في أغلب الأحيان وعند الصباح كان يقول لي :-

-ياولد.. اما أحسست بشيء في الليلة الماضية؟ لقد جريت وراء الثعبان واعتقد انه يأتي ليرقد في سريرك.

وكنت اجيبه :

-ارجو من الله ان لايعضني لأنني اخاف منه كثيراً وبهذا النحو اصبح نوم سيدي خفيفاً خوفاً من الثعبان وماعدت اجرؤ على الاقتراب من الصندوق في الليل خوفاً من ان يستيقظ ، ولكنني كنت اكل حصتي في النهار عندما كان يذهب الى الكنيسة وما ان يرجع ويشاهد الاضرار في الصندوق وعدم جدوى العلاج الذي يستطيع ان يقدمه حتى يشرد في الليل كالشبح.

وخفت ان تؤدي جهوده هذه الى العثور على المفتاح الذي كنت أخبئه تحت الحصيرة وبدا لي ان اسلم طريقة هو ان احتفظ بالمفتاح في فمي في اثناء الليل وهكذا استطيع ان انام بهدوء متيقناً من ان سيدي لن يجده.

وذات ليلة وبينما كنت نائماً اصبح المفتاح في فمي بحالة جعلت تنفسي يمر عبر ثقب المفتاح فصدر عن ذلك صفيراً شديداً ارعب سيدي وجعله يعتقد انه فحيح الثعبان نهض ببطء وهو يحمل عصاه بيده واقترب مني كي لايفزع الثعبان الذي ظن انه يختبىء تحت حصيرتي ورفع عصاه واهوى بها على رأسي وهو يعتقد انه

سيقتل الثعبان وتركني بعدها في غيبوبة مفجوج الرأس. وعندما شعر بأنه ضربني انا وليس الأفعى اقترب مني واخذ يناديني وأمسك رأسي ولما أحس ان الدم يفيض مني بغزارة اسرع لاحضار النور وعاد بسرعة ووجدني أنوح ومفتاحي في فمي الذي لم يسقط بالرغم من تلك الضربة القوية.

دهش قاتل الثعابين ونظر الى المفتاح وقارنه بمفتاحه ثم جربه بعد ذلك على الصندوق ووجد انه يلائم قفل الصندوق، ولابد ان الصياد راح يفكر «الفأر والثعبان اللذان سرقاني قد ظهرا».

ولم اعرف ماالذي حدث في الايام الثلاثة التالية لأنني كنت غائباً عن الوعي وكل ما احكيه هنا كنت قد سمعته من سيدي وهو يقص ذلك على الجيران الذين كانوا يأتون الى البيت.

وبعد ثلاثة ايام عدت الى وعيي ووجدت نفسي راقداً على الحصيرة ورأسي ملفوف بالضمادات وسألت : ماهذا؟

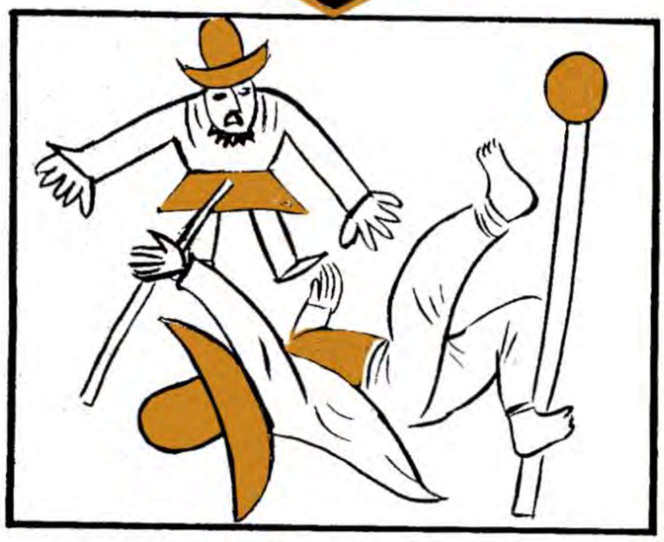
اجابني القس: لقد اصطدت الفئران والثعابين التي خربت طعامي.

وفي هذه الاثناء دخل الجيران ونزعوا عني الضماد وعالجوني وعادوا يقصون قصة مصائبي ويضحكون منها اما انا فقد كنت ابكي. واخذوا يعطونني الطعام وتحسنت حالتي شيئاً فشيئاً. وبعد خمسة عشر يوماً استطعت النهوض ولم يكن جرحي قد شفي تماماً لكن الخطر كان قد زال الا انني لم انج من الجوع.

وفي اليوم التالي قادني سيدي من ذراعي والقى بي في الشارع وقال لي :

– يالاثرو انك من الآن فصاعداً ملك نفسك. ولا أريد لخدمتي خادماً مجتهداً مثلك. ولابد انك كنت صبياً لاعمى. وعاد الى بيته واغلق الباب خلفه.

كيف وجد لاثارو السائس وماذا جرى



عندما وجدت نفسي ملقى في الشارع اضطررت ان استمد القوة من ضعفي وشيئا فشيئا وبمعونة بعض الناس الطيبين استطعت ان اصل الى مدينة (طليطلة)، وفيها التأم جرحي بعد خمسة عشر يوما.

وعندما كنت مجروحا كان الناس يتصدقون علي لكنني وما ان شفيت حتى بدأ الناس يقولون لي :

– ياوقح، يامتشرد! بدلا من أن تطلب الصدقات، عليك ان تبحث عن سيد طيب تعمل عنده.

وكنت اسأل نفسي اللهم ابعث لي واحدا مخصوصا.

وهكذا مررت من باب الى باب أسأل فيها عن عمل من

دون جدوى وكنت اوشك أن افقد الأمل عندما التقيت بسائس كان يسير في الشارع، كان حسن الهندام. حسن التسريحة ويمشي بخطى منتظمة. نظر الي ونظرتُ اليه وقال لي : ياغلام! اتبحث عن سيد؟

اجبته :

- نعم ياسيدي.

- اذن هلم خلفي لقد أراد الله أن يساعدك فوضعك في طريقي.

تبعته وأنا اشكر الله على ماسمعت منه، ولأنه بدالي من ملبسه ومن مظهره انه السيد الذي احتاجه.

كان الوقت صباحا عندما التقيت به وقد جعلني اقطع مسافة كبيرة من المدينة وأنا امشي خلفه. مررنا بالأماكن التي كان فيها يباع الخبز وسائر انواع الطعام وكنت افكر - بل ورغبت.. انه لو أراد لحملت له مايشتريه ذلك لأن ذلك الوقت كان هو الوقت المعتاد الذي يتزود فيه الناس من الحاجيات الضرورية.

لكن سيدي كان يمر من أمام كل هذه الاشياء بسرعة وكنت اقول في نفسي «لعله لم يجد شيئا يليق بذوقه ولربما يريد ان نشتري من مكان اخر».

ومشينا هكذا حتى الساعة الحادية عشرة، وعندها دخل سيدي الكنيسة الكبرى ورأيته يستمع الى القداس وسائر الطقوس الالهية بكل خشوع وتقوى حتى انتهى كل شيئ وانصرف الناس.

غادرنا الكنيسة وزاد من خطواته وبدأنا بالنزول في أحد الشوارع، وكنت فرحا لأنني اعتقدت ان سيدي هو من اولئك

الذين يشترون الطعام بكميات كبيرة وان الغذاء لابد قد أعد بوقته في بيته.

دقت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما وصلنا الى البيت الذي توقف سيدى امامه، قلب رداءه على الجهة اليمنى واخرج مفتاحا فتح به باب البيت.

دخلنا الى مدخل البيت المظلم الذي اعد لأخافة كل من يدخله ثم عبرناه لندخل الى فناء الدار وكانت هناك غرف صغيرة ايضا.

وبعد ان دخل سيدي اقفل الباب وراءه وخلع رداءه وسألني ان كانت يداي نظيفتين، ثم طلب مني أن انظف الرداء وأطويه وأضعه معه. جلس الى جانب الرداء وأخذ يسألني مفصلا من أين أتيت وكيف جئت الى المدينة؟ وأجبته عن كل شيء وبدا لي أن الوقت كان وقت اعداد الطعام ووضع الحساء وليس وقت الاجابة عن الاسئلة وبعد ذلك صمت، فكان ذلك عندي فأل سوء لان الساعة كانت قد اقتربت من الثانية ولم أشهد عليه رغبة في الطعام.

ورأيت ان البيت كان مغلقا بالمفتاح ولم اشاهد فيه من كان يصنع الطعام، وكان كل مارأيته هو الجدران العارية ولم يكن هناك كراسي ولامصاطب ولامائدة طعام ولاحتى صندوق طعام مثل صندوق القس.

وقال لي سيدي الجديد :

– أنت ياصبي هل أكلت؟

أجبته : – كلا ياسيدي فأنا لم اكل منذ الساعة الثامنة صباحا عندما التقيت بك.

– على الرغم من أن ذلك الوقت كان مبكرا فانني تناولت طعام الافطار وسأبقى هكذا حتى المساء تستطيع ان تدبر أمرك حتى نتعشى.

عندما سمعته يقول هذا كنت أوشك أن اسقط من فرط اعيائي. وتذكرت كل متاعبي، وخطر ببالي ماكنت قد فكرت به حين فكرت في ترك القس، وهو انه على الرغم من انه كان بخيلا فلربما سألقى من هو أسوأ منه. وفكرت ان الموت أصبح قريباً مني.

ومع ذلك فقد تظاهرت وقلت :

– سيدي أنا من اولئك الصغار الذين لايلقون هما كبيرا على الاكل. واستطيع أن أقول بأنني قليل الاكل اذا ماقورنت بمن هم في عمري.

وأجابني : –

– هذه فضيلة حسنة تجعلني ازداد حبا بك لان من شيمة الخنازير ان يفرطوا في الطعام ومن شيمة الرجال الطيبين ان يأكلوا بأعتدال.

فقلت بين اسناني :

«لقد فهمتك ياسيدي : ملعونة هذه الطيبة وهذه الفضيلة اللتان وجداها اسيادي في الجوع:

جلست في ركن قرب الباب واخرجت من الكيس اخر ماعندي من قطع الخبز التي بقيت لي من الشحاذة.

وعندما رآني سيدي اكل قال لي : –

– تعال هنا ياغلام ماذا تأكل؟

اقتربت منه وأريته الخبز. أخذ القطعة الكبيرة من القطع الثلاث وقال : -

- يبدو انه خبز جيد.

- هل اعجبك الخبز ياسيدي؟

- نعم، أين وجدته؟ هل عجن بأيد نظيفة؟

قلت له «لست أدري ولكنني لااشمئز منه.

- قال سيدي المسكين : - أرجو من الله أن يكون كذلك.

وأخذ الخبز وراح يتناوله بشراهة تشبه شراهتي.

ثم قال : هذا ألذ خبز.

ورأيت كيف كان جائعا واسرعت في الأكل لما رأيته يتهيأ لالتهام الباقي.

انتهينا في الوقت نفسه تقريبا ونفض هو الفتات الصغيرة التي سقطت على صدره ودخل الغرفة ثم خرج وهو يحمل جرة ذات فم مكسور، وشرب وقدم لي الباقي لكنني ولكي أبدو قنوعا قلت له : إنني لااشرب العصير فقال لي :

- تستطيع أن تشرب ماحلا لك فانه ماء.

اخذت الجرة وشربت. لم اشرب كثيرا لأنني لم اكن اعاني من العطش بل من الجوع.

وجلس بعد ذلك وأخذ يسألني اسئلة كثيرة، وعندما حل الظلام أخذني الى الغرفة التي جلب منها الجرة وقال لي :

- انظر كيف نصنع هذا السرير حتى يمكنك في المستقبل صنعه.

وقفت في ناحية الغرفة ووقف هو في الناحية الاخرى.

كان يملك الواحا خشبية ضيقة وفوقها بعض القصب ثم وضع عليها قماشة سوداء من قلة الغسل.

وبسطنا القماشة على القصب وبذلنا جهدا كبيرا لجعلها طرية الا انها اخذت شكل القصب لكثر ماكانت خفيفة ثم وضعنا ملاءة خفيفة فوق القماشة وكانت ذات لون لم استطع تمييزه.

وما أن تم اعداد السرير حتى قال لي سيدي : –

– يالثرو، الوقت متأخر ومن هنا وحتى الميدان مسافة طويلة، اضافة الى ان في هذه المدينة يوجد كثير من اللصوص، فلنمض هذه الليلة كيفما اتفق وسنشتري غدا كل مانراه ضروريا. ولأنني كنت اعيش وحدي في هذه المدة فقد كنت اكل خارج البيت.

قلت له : سيدي، لاتحزن، فأنا في وسعي النوم من دون طعام.

قال – ستعيش اطول وبصحة جيدة.

وتمتمت في سري :

– اذا كان هذا هو الطريق السليم فانني لن اموت ابدا، لانني كنت دائما اتبع هذه القاعدة وجعلني اسيادي اشعر بالجوع دائما.

وضع سيدي حذاءه وجوربه وصدريته تحت رأسه وصنع منها مخدة وامرني ان انام تحت قدميه، ومع ذلك لم استطع النوم فقد دخل القصب في عظامي، وزادت حدة الجوع في بطني لانني لم آكل سوى قطعة صغيرة من الخبز.

وفي اليوم التالي نهض سيدي ونظف جوربه ورداءه وغسل وارتدى ثيابه ومشط شعره ووضع سيفه في نطاقه وقال لي :

– آه لو تعرف ياغلام قيمة هذا السيف! فأنا لاابادله بكل ذهب العالم!

واخرجه من غمده واراني اياه.

– اتراه ؟ اني استطيع ان اقطع به قطعة من القطن وهي تنزل في الهواء .

واعاد السيف داخل غمده وشد حزامه ومشى بخطوات ثابتة الى الامام وخرج من البيت وهو يقول لي :– لاثارو ، حافظ على المنزل اثناء غيابي لسماع القداس ورتب الفراش واذهب الى النهر لجلب الماء واملأ الابريق . ولاتنسى ان تغلق الباب عندما تخرج خشية ان يدخل اللصوص ويسرقونا واترك المفتاح عند عتبة الدار حتى اجده عندما ارجع .

ومشى باتجاه الشارع انيقا يحسب من يراه انه نبيل ، عظيم او قريب لاحد النبلاء .

وقلت انا في سري :

– تباركت ياربي ، من ذا الذي يلقى سيدي هذا ولايعتقد انه تعشى امس عشاءا فاخرا ونام هنيئا في سرير وثير وافطر هذا الصباح فطورا ممتازا ؟ يالهي ، كم من الناس انتشروا في انحاء الدنيا يتحملون من اجل ذلك الشرف اللعين ، مالا يتحملونه من اجلك ؟

وبقيت عند الباب حتى رأيته وقد استدار عند زاوية الشارع الضيق ، وعندها دخلت الى البيت وفتشته في لحظة واحدة من دون ان اجد اي شيء ، رتبت الفراش وجلبت الماء وملأت الجرة ، واردت ان اكنس البيت فلم اجد ما اكنسه ، وهكذا بقيت انتظر رجوع سيدي حاملا الطعام لي .

حين دقت الساعة الثانية ووجدت ان سيدي لم يعد والجوع يعذبني خرجت من البيت لكي استجدي الخبز ونجحت في ذلك

نجاحا كبيرا فما ان حلت الساعة الرابعة حتى كان لدي اربعة ارطال من الخبز وقطعة من كرشة البقر وبعض احشائها .

عندما عدت الى البيت وجدت سيدي يذرع الفناء جيئة وذهابا . فسألني من اين اتيت فقلت له : —

سيدي لقد بقيت هنا حتى الساعة الثانية ولما رأيت ان سيادتك لم تحضر فقد خرجت الى المدينة اسأل اهل الخير وقد اعطوني هذا .

ابتسم برضا وقال :

— لقد انتظرتك لتناول الغذاء ولما رأيتك لم تحضر فقد اكلت . لقد فعلت حسنا فمن الافضل لك ان تشحذ من ان تسرق . ولكني انصحك بأن لاتجعلهم يعرفون بأنك خادمي ، فهذا الامر يتعلق بشرفي . ولو ان الناس هنا يعرفونني معرفة قليلة لأنني لم اود ان آتي الى هنا ابدا .

قلت له :

— لاتقلق ياسيدي فمن الذي سيسألني ومن اخبره بهذا ؟

— هيا كل ايها المسكين وان شاء الله سنخلص من هذا الضيق ، ويجب ان اقول انني لم اوفق منذ ان دخلت هذا المنزل . إنه منزل ملعون .

جلست على طرف المصطبة وبدأت بأكل الخبز والكرشة .

ونظرت الى سيدي المسكين الذي لم يستطع ان يبعد ناظريه عن الطعام وشعرت بالاسى عليه لانني كنت أشعر بما يشعر من كثرة ماكابدت من جوع . وفكرت ان ادعوه لتناول الطعام معي ولما كان قد قال لي بأنه تناول الطعام فقد كنت واثقا من رفضه

لدعوتي . ورغبت ان يجلس معي ويتناول الطعام لكثرة ما كان موجودا وشاء الله ان يحقق رغبتي لانه قطع مشيته واقترب مني :-

- اريد ان اقول لك يالاثارو انك حينما تأكل تبدو على قدر كبير من الملاحة لم اشهده ابدا عند احد غيرك ، وانك تأكل بشهية تجعل الاخرين يشعرون بالجوع وتنفتح شهيتهم .

وفكرت انا في نفسي وقلت «ان الجوع الذي يعانيه هو الذي يجعله يرى كل مافيَّ جميلا» .

وقلت له لكي اساعده :

- ان المواد الجيدة هي التي تصنع الصانع الجيد . ان هذا الخبز لذيذ جدا وهذه الكرشة ممتازة وجيدة الطبخ وكل من يراه يشتهيه .

- هل قلت كرشة بقرة ؟

- نعم ياسيدي .

- لاتوجد هناك قطعة افضل منها في العالم ان طعمها ليوازي طعم الحجل .

- حسنا ذقها ياسيدي وسترى انه جيد .

ووضعت بين يديه ثلاث او اربع قطع من الكرشة مع خمس قطع من الخبز الابيض . وجلس الى جانبي واخذ يأكل بكل شهية ثم مص العظام مثل امهر الكلاب السلوقية . وقال :

- مع صلصة الثوم تصبح هذه وجبة فاخرة .

وقلت في نفسي «ان افضل صلصة هي الجوع الذي تكابده » .

– لقد اكلت كما لو لم اكن قد تناولت اي طعام . اعطني جرة الماء .

نهضت وأعطيته جرة الماء كما احضرتها من النهر وكان هذا دليلاً على ان سيدي ما كان يعوزه الماء لانه لم يأكل اي شيء قبل هذا.

شربنا وذهبنا للنوم ونحن سعداء بما اكلناه. وبقينا على هذه الحالة ثمانية أو عشرة ايام، كان سيدي يخرج في الصباح يستنشق الهواء وهو يعرف ان هناك من يجلب له الطعام.

وكثيرا ما كنت افكر بتعاسة حظي، فقد هربت من اسياد اشرار بغية ان اجد افضل منهم واذا بي اجد واحداً ليس فقط لا يطعمني بل علي ان اطعمه هو مع ذلك فقد احببته لأني رأيت انه لم يكن يملك اي شيء يعطيني اياه، وكنت احيانا اشفق عليه فاجلب له الطعام الذي كنت قد احضرته لنفسي. وكنت اقول في نفسي هذا رجل فقير، والمرء لايعطي ماليس عنده. اما الاعمى البخيل والقسيس الشحيح فقد كانا يملكان ومع ذلك فقد قتلاني جوعاً».

وحتى هذا اليوم وحين التقي بشخص مثله بكل اناقته فاني اشفق عليه اذا كان يعاني مثل مايعانيه هذا. ولكنني كنت اكره فيه تظاهره وتكبره، وكنت اود ان يتنازل عن خيالاته، ويرى مايعانيه بصدق. لكن يبدو ان هذه هي طريقته في الحياة، فقد كان عليه ان يبدو انيقاً حتى لو لم يكن يملك فلساً واحداً.

وحتى هذه الحالة ما كانت لتدوم طويلا فقد كانت تلك السنة سنة جدبٍ وامرت البلدية خروج كل الغرباء الفقراء من

المدينة وهددت بجلدهم ان لم يخرجوا من المدينة. وبعد اربعة ايام من اصدار هذا القانون رأيت مجموعة من الفقراء وهم في طريقهم ليجلدوا.

وهكذا لم اجروء بعد على الخروج للشحاذة.

لم استطع الخروج لاحضار الطعام وبقينا انا وسيدي ننظر الى بعضنا بصمت ولم نتناول اي شيء من الطعام في غضون ثلاثة ايام. اما انا فقد انقذت جباني بعض النسوة ممن كن يغزلن القطن، وكنت قد تعرفت عليهن قبل هذا ولهذا كن يعطينني قليلاً مما كن يمتلكنه، ومع ذلك فقد كنت ارى سيدي ينزل الشارع عند الظهر بقامة مشدودة ويبدو اطول من الكلب السلوقي الاصيل. كان يمسك بعود من القش من تلك التي لم نعد نمتلكها في المنزل ويقف عند عتبة الباب وينظف بها اسنانه الخالية من الطعام ويشكو من النحس الذي جلبه البيت ويقول:

– علينا ان نرى شؤم هذا المنزل، فها انت ترى يالاثرو مقدار حزنه وظلامه وسنظل نعاني من البؤس مادمنا فيه

لقد كان سيدي يعيش بهذه الطريقة. وحدث ذات يوم ان وقع بيد سيدي، ولست ادري كيف ولا من اين، ريال. جاء الى المنزل منتصراً كما لو انه كان قد جلب كنوز مدينة (البندقية) عطاني اياه باسماً وقال:

– خذ يالاثرو، واذهب الى الساحة واشتر لنا الخبز واللحم. وعليك ان تعلم اني استأجرت بيتاً اخر سننتقل اليه حالما ينتهي هذا الشهر. لعنة الله على اول من وضع فيه حجراً!
لقد جلب لي النحس ومنذ ان سكنت فيه لم اكل طعاماً فيه

لحم. اذهب سريعا وسنأكل اليوم كالملوك.

امسكت بالريال وجريت الى الشارع سعيداً بما لدينا وبينما كنت امشي في الشارع وانا افكر بطريقة صرف الريال تعثرت بجنازةٍ كان يحملها عدد من القسيسين وبعض الناس. والتصقت بالحائط لكي افسح المجال لهم. وبعدما انصرفوا جاء بعدهم مجموعة من النساء وكانت بينهم امرأة لابد انها كانت زوجة الميت، كانت تلبس السواد وتبكي وتصرخ وتقول: -

- زوجي الى اين يأخذونك؟ أيأخذونك الى البيت المظلم والى المنزل الذي لا أكل فيه ولا شرب!

وعندما سمعتها تقول هذا ظننت ان السماء قد اطبقت علي وقلت:

- يا الهي ويالبؤسي، انهم يحملون الميت الى بيتنا فتركت طريقي وابتعدت عن الجموع وهرعت بسرعة الى البيت وما ان دخلت البيت حتى اغلقت الباب واستنجدت بسيدي لكي يغلق المزاليج. وعندما رأى سيدي جزعي، جزع هو الاخر وسألني.

- ما هذا ياغلام؟ علام تصرخ؟ ماذا حدث؟ ولماذا تغلق الباب وأنت غاضب؟

قلت له: - أه ياسيدي انهم يجلبون ميتاً الى بيتنا.

- كيف؟

- لقد التقيت بهم في الشارع وكانت زوجته تردد دائماً زوجي الى اين يأخذونك؟ هل يأخذونك الى البيت المظلم الذي لا اكل فيه ولا شرب! انهم سيجلبونه هنا ياسيدي!

وعندما سمع سيدي هذا ضحك كثيراً بعدما ظل مدة طويلة

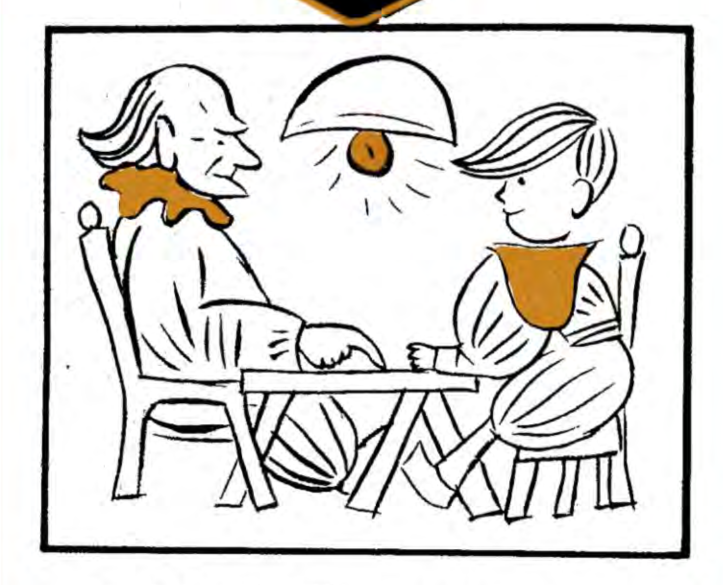
من دون أن يقدر على الكلام، ومع ذلك فقد وضعت المزلاج في الباب واسندت ظهري اليه لحمايته اكثر. ومرت الجنازة امام الدار وظل سيدي يضحك علي. وعندما مل من الضحك قال لي:

- لك الحق أن تفكر بعد ان سمعت كلام الأرملة بأن ماقالته صحيح. لكنهم قد ذهبوا فافتح الباب وعجل لنا بالطعام.

- اتركهم يعبرون الشارع ياسيدي.

واخيرا جاء سيدي وفتح الباب وهدأ من خوفي وأخرجني الى الشارع. وجلبت بعد ذلك الخبز واللحم، لكنني لم استطعمه جيداً بسبب ما حدث وبقيت ثلاثة ايام من دون أن استرد فيها لوني، وكان سيدي يضحك علي كلما كان يتذكر حادثتي هذه.

كيف ترك لاثارو خدمة السائس



منذ ان خدمت عند سيدي الثالث وانا متلهف الى معرفة سبب مكوثهِ في (طليطلة) لأنني لاحظت انه كان غريبا على اهل المدينة.

ذات يوم كنا قد اكلنا جيداً وكان سيدي سعيداً وبدأ يقص علي قصته وقال انه من (قشتالة) القديمة وانه ترك ارضه لأنه لم يكن يريد ان يلقي التحية لنبيل كان جاره.

قلت له: –

– سيدي اذا كان هو نبيلاً واغنى منك افلا تعتقد انك أخطات في عدم تحيته اولا مُادمت تقول انه كان يحييك ايضا.

- نعم لقد كان نبيلا وكان غنيا. ولكن كثيرا ماكنت ابدأه بالتحية وأرفع طاقيتي له فما الضرر ان يبدأ هو كذلك بالتحية اولا.

- يبدو، ياسيدي اني ماكنت اقيم وزنا لهذا وخصوصا مع من هم اكبر مني واغنى.

وأجابني :

- لازلت طفلا ولاتفهم في امور الشرف التي هي كل شيء بالنسبة للنبلاء في هذا اليوم.. لانني سائس كما ترى انت، واذا ماالتقيت في احد الايام بالكونت في الطريق ولم يحييني كما يجب فانني اذا شاهدته قادما مرة اخرى فانني ساعمل على ان لااحييه وسادخل اي منزل او اعبر الشارع لكي لااقوم بهذا. واتذكر اني دخلت في نقاش مع احد الصاغة في بلدي وهممت بضربه لانه كان يقول لي في كل مرة يلقاني «الله يحفظ سيادتك» ، فقلت له «لماذا انت قليل الادب؟» وهكذا اخذ يرفع قبعته لي في كل مرة يلقاني.

فقلت له انا : اليس من الادب ان يحيي الواحد الاخر قائلا له الله يحفظك؟.

فاجاب سيدي : - كلا... ان هذه الكلمات لاتقال الا للناس العاديين، اما النبلاء مثلي فيجب في الاقل ان يقال لهم «اقبل ايادي سيدي» ولهذا فانا لم احتمل ذلك الرجل، ولااي مخلوق في العالم عدا الملك...

وفكرت في نفسي وقلت : «لهذا انت تعاني من الجوع لانك لاتتحمل ان يدعو لك احد من الله ان يحفظك».

واستمر سيدي في كلامه قائلا : عليك ان تعرف كذلك باني لست فقيرا الى هذا الحد فانا املك في بلدي ١٦ فرسخا من الارض تقع في (كوستانيليا) في بلد الوليد كما املك قطع اراض لو شيدت عليها المباني لاعطتني ربما قدره مائتا الف مرابطي واملك ايضا برج حمام لو لم يكن مهدماً لاعطاني مائتي حمامة في السنة وكل هذا تركته بسبب شرفي، وجئت الى هذه المدينة املا في لقاء سيد معتبر ادخل في خدمته لكن الامور لم تجر كما يجب والشيء الوحيد الذي وجدته هنا كان كهنة وقسسة واصحاب المراتب في الكنيسة.

ووجدت في هذه المدينة بعض النبلاء لكنهم كانوا فقراء وانت تعرف إن خدمة هؤلاء أمر متعب جدا اذ علي ان البي كل طلباتهم ورغباتهم وان لم أفعل فانهم يطردونني وكل هذا مقابل اجرة زهيدة تدفع على مدد متباعدة وعندما يؤنبهم ضميرهم في عدم الدفع فانهم يجازونك بما يدفعونه لك من ملابسهم العتيقة التي لاتصلح لاقل الخدم شأنا.أما اذا خدم الانسان سيداً نبيلا ذا لقب فان عليه ان يعمل كثيرا لكنه سيتجاوز بؤسه بما يدفعونه له ولكن أتراني لاأصلح لخدمة واحد من هؤلاء؟ والله لو التقيت بأحدهم وأخبرتني عنه لصنعت لي معروفا كبيرا فسأتعلم كيف اكذب عليه وأتحمله مثل مايفعل البقية وسأضحك كثيرا على نكاته التي لاتحتمل ولن أقول له أي شيء يضايقه وسأتسقط أخبار الناس لاقصها عليه. هذا مايحدث في قصور النبلاء، ولهذا فهم لايريدون اناسا فضلاء بل خبثاء وأنا استطيع أن أكونه.

كان سيدي يعترف لي بكل هذا عندما سمعت طرقا على

الباب ودخل رجل وسيدة عجوز الرجل ليطالب بايجار المنزل والمرأة بايجار السرير، وحسبا ماكان على سيدي أن يدفعه عن ايجار الشهرين المنصرمين، وأعلنا انه مدين لهما باثني عشر ريالا. وكنت متأكدا من ان سيدي لم ير في حياته قط هذا المبلغ.

وأجابهم سيدي: —

– لاأملك سوى قطعة نقدية من فئة الاثنتين. سأخرج الى المدينة لصرف قطعة النِقود وأرجع لكما. عودا في المساء. خرج الرجل والسيدة وكذلك خرج سيدي. وعند المساء عاد الرجل والسيدة وقلت لهما بأن سيدي لم يعد بعد..ولما حل الليل خفت أن ابقى وحدي في البيت، وذهبت الى بيت الجارات غازلات القطن واخبرتهن بما حصل فسمحن لي بالمبيت هناك.

وعند الصباح عاد الدائنان وسألا عن سيدي في بيت الجارات. وأجابت السيدات:

–لم يعد الى البيت لكن خادمه هنا وهو يحمل مفتاح البيت. وسألاني

وقلت لهما الحقيقة بأني لاأعرف اين هو وانه لم يعد الى البيت منذ أن خرج ليصرف قطعة النقود وما أن سمعا ماقلت حتى غضبا وراحا لاحضار شرطي وموثق العقود وعادا بهما واستدعياني واستدعيا شهودا اخرين وفتحوا الباب ليحجزوا ممتلكات سيدي ايفاءا للديون.

دخل الكل الى البيت بحثا عن اي شئ يحجزون عليه لكنهم عندما وجدوا أن البيت فارغ تماما توجهوا نحوي وقالوا:

–اين أثاث سيدك؟ وأين هي صناديقه وبسطه وادواته المنزلية؟

-أنا لم اشاهد أي شئ في هذا المنزل .
والتفتت المرأة العجوز الى الشهود والى الشرطي وقالت لهم:
-لاشك انهما نقلا كل الاثاث الليلة البارحة لقد خدعانا لكي يكسبا الوقت وينقلا الاثاث، سيدي الشرطي اعتقل الصبي لكي يعترف بالحقيقة.
اقترب الشرطي مني وأمسك بياقة قميصي وقال لي:
-سأسجنك مادمت لاتكشف لنا أين هي ممتلكات سيدك. اين خبأتما الاثاث؟
ولما لم اكن قد وقعت في مثل هذه المحنة من قبل فقد خفت كثيرا وبكيت ووعدتهم بأن اخبرهم بكل مايريدون.
قال لي موثق العقود:
-حسنا قل كل ماتعرفه ولاتخف، ولن يحصل لك شئ وجلس الموثق على الكرسي لكي يكتب الجرد وسألني عن أثاث سيدي:
قلت لهم: - حسنا ان مايملكه سيدي حسب ماقال هو قطعة أرض كبيرة وبرج حمام.
-حسنا فهما قلت عنهما ففيهما مايكفي لسداد الديون .في أي مكان من المدينة تقع هذه الارض وبرج الحمام؟.
- في مدينته.
-ماأبدعهما من صفقة وأين هي بلدته؟.قال صاحب البيت.
-لقد قال لي ان بلدته هي بلد الوليد في (قشتالة) القديمة.
ضحك الشرطي وموثق العقود وقالا للدائنين
- ها قد وجدنا بعض الاملاك لاسترداد ديونكما واملاكا اكبر اذا كانت ديونكما تكفي للقرض.
وقالت الجارات الحاضرات كشهود للشرطي وللموثق:

-     ان هذا الطفل بريئ وقد عمل مع السائس منذ مدة قصيرة فهو لايعرف عنه اكثر مما تعرفون انتم. لقد كان المسكين يأتي الى بيتنا لكي نطعمه، ثم يذهب عند المساء لينظف بيت سيده.

وعندما وجد الشرطي اني بريئ أطلق سراحي. ثم طلب الشرطي والموثق أتعابهما منَ الرجل والمرأة.

ونشب عراك بين الطرفين لان الرجل والمرأة ادعيا انهما ليسا ملزمين بدفع شيئ مادام انه لم يوجد أي اثاث. واجابهما الشرطي بغضب:

-هذه مشكلتكم لقد تركنا قضية أهم كانت ستدر علينا ربحا جيدا لولا انا جئنا معكما.

واستمر الجدل بينهما واستدعيا شرطيا اخر وطلب هذا الاخير غطاء المرأة الذي كانت تحمله تعويضا عن الاتعاب ثم خرج الخمسة وهم يتصايحون ويتجادلون.

وهكذا وكما قصصت لكم ياأصدقائي فقد تركني سيدي الثالث. وبقيت افكر بسوء حظي ، فالعادة ان يترك الخدم اسيادهم لا ان يترك السادة الخدم، لقد هرب سيدي المسكين مني انا.

كيف التحق لاثرو في خدمة الراهب والمحتال



وجهتني الجارات اللواتي ذكرتهن الى راهب من رهبان الرحمة وكان قريبا لهن. وكان هذا الراهب عدوا لدودا للكورس وللطعام في الكنيسة فقد كانت الشؤون الدينوية تعجبه كثيرا ويعجبه القيام بالزيارات ويقضي جل وقته فيها.

اهداني هذا الراهب اول حذاء في حياتي وقد مزقته بعد ثمانية ايام فقط من مسيري خلفه في الشوارع والزيارات.

واعتقد ان هذا الراهب قد استهلك من الاحذية اكثر ما استهلكه بقية رهبان الدير كلهم . ولما كنت لا اتحمل مشي مثل هذه المسافات فقد ودعته.

والتقيت بعد ذلك بشخص كان يروج صكوك الغفران

وكان هذا الشخص من اجرأ واوقح مروجي صكوك الغفران ممن شاهدته في حياتي فعندما كان يصل الى المناطق التي كان عليه ان يروج الصكوك فيها كان اول مايفعله هو ارسال الهدايا التافهة الى رجال الدين مثل (راس خس) او زوجين من الليمون والبرتقال او الخوخ، وبهذه الوسيلة كان يجتذب رضاهم ويدعوهم لسماع مواعظه وحث رعيتهم على شراء الصكوك. وكان يستقصي عن تحصيل الرهبان الدراسي فأن كان احدهم يعرف اللاتينية صمت هو اثناء مواعظه كي لايغلط ، اما اذا كان رجال الدين ممن لم يتلقوا معرفة كبيرة في اللغة فعندها كان يتحدث ساعتين باللاتينية حتى يقال عنه بأنه ذكي.

وكان يسعى الى ارغام الناس على شراء الصكوك بالقوة، اذا لم يشتروها منه طواعيه واتذكر انه في مكان ما من (طليطلة) حيث كان قد وعظ يومين او ثلاثة ولم يشتر منه احد الصكوك ثارت ثائرته وقرر دعوة كل اهل القرية الى الكنيسة لكي يودعهم.

وفي ذلك المساء نفسه وبعد العشاء . اخذ بمداعبة الشرطي في العاب الحظ. ثم اختلفا مع بعضهما وتبادلا الشتائم والسباب. نعت سيدي الشرطي باللص واتهم الشرطي سيدي بالتزوير، وأمسك كل منهما سلاحه واخذا يتقاتلان وعلا صراخهما وتجمع الناس حولها حتى يفصلوا بينهما. واكتفى الشرطي وسيدي بعد ذلك بتبادل الشتائم عندما وصل بهما الامر حد التعب في عراكهما. وانتهى الامر بان اخذوا الشرطي الى مكان اخر وهدأوا من روع سيدي وطلبوا منه ان ينام.

وذهب سيدي في اليوم التالي الى الكنيسة لكي يلقي موعظته

وكان سكان القرية قد علموا بما حدث الليلة البارحة وذهبوا وهم يقولون في سرهم بانهم امام مزيف وان الصكوك هي مزيفة.

لكن السيد صاحب الصكوك صعد الى المنصة ودعا الناس الى عدم ترك الخير العظيم والى الافادة من الغفران الذي يمنحهم اياه هذا الصك. وكان في اوج حماسته عندما دخل الشرطي وقال باعلى صوته.

استمعوا الى كلماتي ياايها الناس وبعد ذلك استمعوا الى من تشاءون. لقد قال لي هذا المحتال ان علي ان اساعده في هذه المسألة ثم نقتسم مايربحه لكنني تأملت الضرر الذي ساسببه لضميري ولكم فقررت ان اعترف لكم بالحقيقة. وهي ان الصكوك مزيفة فلا تشتروها.

واني لا اشترك في هذا الامر لامن قريب ولامن بعيد ولكي ابرهن على صدق قولي فها انا اتخلى عن منصبي كشرطي. واذا ماعاقبتموه بعد ذلك على زيفه فاعلموا اني لست شريكا له واني حذرتكم منه.

وسكت الشرطي وحاول بعض الرجال ان يلقوه خارجا لانه تكلم هكذا في الكنيسة لكن سيدي طلب منهم الهدوء وطلب ان يتركوه يقول كل ماعنده وعندما اكمل حديثه قال له سيدي ان كان يريد ان يقول شيئا اخر فاجاب الشرطي

- استطيع ان اقص كثيرا عن زيفك وعنك ولكني ساكتفي اليوم بهذا.

وعندها ركع سيدي وشبك يديه وبدأ بالصلاة وقال:

- رباه، يامن لايخفى عليه شيء، انت تعرف الحقيقة وتعرف كم

اهنت ظلما وعدوانا انا استطيع ان اغفر له عن اهانتي حتى تستطيع ان تغفر لي ، رباه لاتلق بالا الى هذا الرجل الذي لايعرف ماذا يريد. اما اهانتك انت فانا ادعوك واتوسل اليك باسم العدل ان لاتغفر له لانه اذا كان واحد من هؤلاء الناس قد فكر باخذ احد هذه الصكوك وانصرف عن ذلك لما سمع كلام الشرطي فاني اتوسل اليك ياسيدي ان تحدث معجزة على هذه الصورة فليتداعى هذا المنبر وانا عليه ولينزل تحت الارض ويدفنني اذا كان كلام هذا الشرطي صحيحا

ولكن اذا كان ماقلته انا صحيحا وكانت الصكوك غير مزيفة فليعاقب هذا الشرطي ويفضح امام الجميع.

وماكاد سيدي يكمل جملته حتى سقط الشرطي على الارض واحدث سقوطه دويا كبيرا في الكنيسة واخذ يزبد ويرغي ويضرب بقدميه ويديه ويتقلب على جنبه في الارض ويحدث تقطيبات في وجهه واخذ يخرج الاصوات من فمه كالحيوانات.

وعلا ضجيج كل من كان في الكنيسة وطلب الحضور من سيدي ان يساعد الرجل لانه نال عقابه ولان اشد الرجال قوة لم يستطيعوا ان يوقفوا ركلاته ورفساته وصراخه في الكنيسة وكل هذا وسيدي كان يصلي بصمت على الرغم من الضجة التي حدثت في الكنيسة.

وبعد ان توسل الجميع اليه قائلين له ان الله انزل عقابه بالشرطي قال سيدي:

– أيها الناس الطيبون ماكان لكم ان تتوسلوا من أجل رجل أراد الله أن يعاقبه، علينا ان نتوسل الى الله كي ينقذه لقد أراد

هذا الشرطي أن يضع العقبات أمام صكوك الغفران فلنصل جميعنا الى الرب.

وبعد أن صلى الجميع، نزل سيدي من المنبر وطلب أحد صكوك الغفران ووضعه على رأس الشرطي وفي الحال تحسنت حالة الشرطي وأرتمى على رجلي سيدي طالبا منه الصفح وسامح سيدي الشرطي وتدافع الناس على شراء الصكوك، ولم يبق من لم يشتر له صكا.

وعلم أهالي القرى الاخرى بما حصل وتدافع الجميع على الذهاب الى الكنيسة وشراء الصكوك وباع سيدي عشرة الاف صك من دون الحاجة الى القاء المواعظ.

لقد صدقت أنا نفسي ماحصل في الكنيسة ولكني شاهدت سيدي بعد ذلك يتقاسم الارباح مع الشرطي ويضحك معه، وفهمت انه لم تكن هناك معجزة بل حيلة ابتدعها سيدي الخبيث. وقلت في سري كم يعبث هؤلاء المازحون بالناس الابرياء».

وبقيت مع هذا المحتال أربعة اشهر عانيت فيها كثيرا من المتاعب ومشقة العمل ولو انه كان يعطيني طعاما جيدا.

لاثارو يخدم في بيوت اخرى



وبعد أن خدمت هذا المحتال عملت لدى رسام يرسم على الدفوف وكنت اساعده في خلط الألوان، لكنني لم اكن سعيدا بصحبته.

كنت في ذلك الوقت فتى يافعا وفي أحد الأيام وبينما أنا أدخل الكنيسة التقيت بأحد قسيسي الكنيسة فأدخلني في خدمته وأستاجر لي حمارا وأعطاني أربع جرار وسوطا وأرسلني الى المدينة كي ابيع الماء هناك.

وكانت هذه أول درجة من درجات السلم الذي صعدت به الى الحياة الكريمة. كنت اسلم لسيدي يوميا ثلاثين مرابطيا

واحتفظ لنفسي بما اكسبه يوم السبت. وكنت اذا كسبت في يوم من الأيام اكثر من ثلاثين مرابطيا فاني كنت احتفظ بها.

واستطعت أن اجمع مبلغا لابأس به، قدرت بعد اربع سنوات من الادخار أن أشتري ملابس قديمة لي اصلحت من شأني قليلاً واشتريت كذلك سيفا وقلت لسيدي أن يأخذ حماره لأنني لاأريد ان استمر في بيع الماء.

ودعت القس ودخلت في خدمة أحد الشرطة وعملت مساعدا له لكنني بقيت مدة قليلة معه لأنني وجدت نفسي وسيدي ذات ليلة مطاردين بالحجارة من قبل المجرمين ولهذا فقد هربت وتركت الخدمة.

وكنت افكر في نوع العمل الذي علي أن أعمله كي أنال قسطا من الراحة واربح منه مايساعدني في شيخوختي. واستطعت بمساعدة الرب ونصائح الاصدقاء ان أجد وظيفة لدى الملك، وهي الوظيفة التي مازلت اشغلها لحد هذا اليوم والتي اعيش منها، ومهمتي هي أن انادي على الخمور التي تباع في المدينة وأعلن عن المزاد أو على الاشياء الضائعة وبكلمة اخرى فقد كانت وظيفتي : منادياً عمومياً.

وهكذا شاع امري في المدينة حتى ان الكل كانوا لايشترون من البضاعة الا ماكنت انادي عليها.

في ذلك الوقت عرف بأمري رئيس القساوسة في (سان سلفادور) وعلم بما كنت اكسبه فأعطاني بضاعته لكي أقوم بالمناداة عليها، واقترح علي تزويجي من احدى خادماته وهي مسألة اعتز بها كثيرا وتدل على تقدير لي.

وحتى هذه اللحظة لم يكن لدي موجب للندم فقد كانت زوجتي جميلة ومطيعة وقد اعطتني طفلة جميلة وكنا اضافة الى ذلك نتلقى ماكان رئيس القساوسة يجود به علينا.

حدث هذا في السنة نفسها التي جاء بها الامبراطور. الى مدينتنا وعقد فيها المجلس واقاموا بهذه المناسبة احتفالات عظيمة وعم الخير بعد ذلك على كل المدينة.

هذا هو كل شيء ياأصدقائي وسأكتب لكم عن كل ماسيحدث لي.



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨١٠ لسنة ١٩٨٧

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣

السعر ٢٠٠ فلس